ف الرابع على قسم الترجمات: «القرآن وعلاقته بالكتب السابقة، في الدرس الاستشراقي المعا

إعداد/ قسم الترجمات بموقع تفسير

قضية العلاقة بين القرآن والكتب السابقة هي مشغل أساس في الدرس الاستشراقي الكلاسيكي والمعاصر، إلا أن التغيّر في طبيعة المناهج التي تستخدم في قراءة القرآن، وتعدُّد الاتجاهات على ساحة الدرس الاستشراقي المعاصر، والنتائج التي وصل لها الاتجاه التزامني في دراسة النصّ =أعطت ملامح جديدة لمناقشة هذا الإشكال؛ لذا عقدنا ملفًا يحاول أن يُلْقِي الضوء على هذا التغيّر في نقاش هذا الإشكال. هذه المقالة مدخل تعريفي بالملف يوضح الهدف منه والسياسات المتَّبعة في نشره.

العلاقة بين القرآن والكتب السابقة (الكتاب المقدّس بعهدَيْه)، من أحد المشاغل الرئيسة في الدرس الاستشراقي الكلاسيكي منذ بدايات اهتمام هذا الدّرس بالقرآن، وفي هذا السياق يوجد عددٌ من الكُتُب التي اهتمت بإبراز هذه العلاقة باعتبارها علاقة تأثُّر وتأثير، يكون فيها النصّ القرآني منتحًلا وناقلًا غير جيّد للنصوص السابقة؛ من أهم هذه الكتب في الصلة بالتوراة كتاب إبراهام جايجر: (ماذا أخذ محمد عن اليهودية؟)، وكذلك كتاب هانريش شباير: (الشخصيات الكتابية في قصص القرآن)، وأهمها في الصلة بالأناجيل كُتُب المستشرق السويدي تور أندريه.

ولا نستطيع القول أنّ هذا البحثَ المحموم عن «أصل القرآن»، والمحاولة الدائمة لافتراض وجود نسخة أصلية للقرآن يعدُّ هذا القرآن الذي بين أيدينا تنقيحًا متأخِّرًا لها =مشغلٌ بات قديمًا وانزوى عن ساحة الاهتمام الاستشراقية في تناولها للقرآن،

بل على العكس من هذا؛ فقد شهدت العقود الأخيرة تصاعدًا لهذا الاهتمام بدأ منذ كتاب غونتر لولينغ: (حول القرآن الأصلي- 1974)، ثم كتاب جون وانسبرو: (الدراسات القرآنية- 1977)، ومؤخَّرًا كتاب لكسنبرج: (قراءة آرامية-سيريانية للقرآن؛ محاولة لفكّ شفرة اللغة القرآنية). وشكّلت هذه الأدبياتُ مرتكزاتِ ما بات يُعرف بالاتجاه التنقيحي، الذي وصل في نهاية الأمر لنفي مجرّد ارتباط القرآن بجزيرة العرب، وتجريد المسلمين الأوائل من هويّة خاصّة، واعتبارهم كانوا يهودًا أو مسيحيين، مما يعني كون القرآن ظلّ -وحتى فترة متأخِّرة إلى القرن الثاني الهجري على سبيل المثال- كتابًا مسيحيًّا[1].

إلا أن هذا التصاعد والتكثيف الشديد لمثل هذه الرغبة في تجريد القرآن من أصليته لم تمنع من بروز اتجاه آخر في الدرس الاستشراقي المعاصر، وهو «الاتجاه السانكرونيـالتزامني». هذا الاتجاه الذي يهتم بالأساس بإبراز النَّظْم والتركيب الأصيل للنصّ القرآني والطابع الخاصّ لبنائه أفكارَه وحججَه وجدالاته، والذي برز مع كتابات أنجيليكا نويفرت، ومستنصر مير، وماثياس زاهنيسر، ونيل روبنسون، وميشيل كويبرس، وغيرهم، حول بنية السور ونمط تركيبها، مما أدَّى لِما أسماه شتيفان فيلد: «تحوُّل في الاهتمام»، من الانشغال بأصل القرآن للاهتمام بالنصّ الذي بين أيدينا كواقعة تحتاج للتحليل والفهم، لتتكثّف عملية البحث عن البناء الخاصّ للقرآن عمومًا، وخصوصًا هذا البناء الذي قدّمه القرآن لتلك القصص والمساحات السردية التي تتلاقى مع الكتب السابقة عليه، ومحاولة استخدام التطوّر الحاصل في المناهج الأدبية -وكذلك في مناهج الكتاب المقدّس- من أجل استكشاف هذا البناء للنصّ القرآني، واكتشاف علاقات أكثر ثراء بينه وبين النصوص السابقة تستطيع لفْت النظر لاحتمالات من المعنى أكثر عمقًا.

في هذا الملف الجديد على قسم الترجمات: (الملف الرابع: القرآن والكتب السابقة، في الدرس الاستشراقي المعاصر)، فإننا نحاول إلقاء الضوء على التطوّر الحاصل في الدرس الاستشراقي في مناقشة علاقة القرآن بالكتب السابقة، في ضوء أمرين:

الأول: هذا التطوّر للمناهج التي تُستخدم في دراسة القرآن، والاستفادة الكبيرة من المناهج الأدبية، والقيام بالتناص في ضوء خدمة مقاربة تهتم بفهم البناء الخاصّ للنصّ القرآني إزاء النصوص السابقة عليه، بوصفه نصًّا مستقلًا عنها لا منتحَلًا منها.

والثاني: هذا التوسّع الحاصل في اكتشاف المخطوطات، والذي أدَّى لاتساع المدوَّنة النصيّة التي يتم الاعتماد عليها من الباحثين، فلم تَعُد تقتصر على الكُتُب القانونية اليهودية والمسيحية، بل اتسعت لتشمل الكتب غير القانونية ومخطوطات قمران وكُتُب ما بين العهدين وبعض بقايا التقاليد الشفهية. ولعلّ هذا يبرز -بصورة أكبر- مدى ثراء بناء النصّ القرآني لكثير من المساحات المشتركة مع النصوص السابقة، والتميُّز الشديد لحضورها فيه.

وقد اخترنا بالأساس جملةً من المواد الأساسية كي تُنشر ضمن هذا الملف؛ آملِين قدرتها على تغطية الأبعاد الرئيسة للإشكالية التي يحملها هذا الملف، وأبرز المهتمين بها، وأهم المؤلَّفات في سياقها، وهي قائمة على التنويع نفسِه المقرَّر المذكور في دليل السياسات؛ حيث راعينا انتماءها إلى تقاليد استشراقية متنوعة: إنجليزية، وفرنسية، وألمانية؛ بل وأحيانًا خارج هذه التقاليد الثلاثة الشهيرة، كما راعينا أن تكون متنوعة من حيث منطلقات وخلفيات كُتّابها.

ونحن نجري هنا في نشر المواد قيد هذا الملف على القواعد نفسِها التي أرسيناها قَبْلُ[2]؛ حيث نقدِّم كلَّ ترجمة بمقدّمة توضّح أهمية المادة، وتُلْقِي ضوءًا على فكرتها المركزية، ونضمّنها حواشي مُعرِّفة بالأعلام والمذاهب والكتُب الواردة في النصوص، وخصوصًا ذات الصلة بالقرآن الكريم وعلومه، كما سيجد قارئنا الكريم عددًا من التعليقات على بعض الآراء التي وجدنا فيها إغراقًا في البُعد عن العِلْميّة.

---

[1] يراجَع حول هذا الاتجاه (الملف التنقيحي) على قسم الترجمات، على هذا الرابط: tafsir.net/collection/662.

[2] يراجَع على القسم هنا مقالة: «قسم الترجمات؛ الدوافع، الأهداف، الآليات، الإشكالات»، على هذا الرابط: tafsir.net/translation/3.